في هذه اللحظة دخل محمد قائلاً: هناك إشارة أن قوات الاحتلال تقترب من الحي نهض المجاهدون بسرعة قائلين: هات سلاحنا ولنغادر المكان، قفز الشيخ صارخاً: إلى أين؟ إلى أين؟ فقال عماد: لنختفي بعيداً لئلا يلحقوا الضرر بالأولاد والمباني، عبس الشيخ وانقبض وجهه وصرخ: وهل الأولاد والمباني أغلى منكم؟ لا والله لن تغادروا المكان، وإذا ثبت أنهم في طريقهم إلى هنا، فليصعد كل واحد منكم إلى إحدى بنايات أبنائي الأربعة تمترسوا بها ونحن فيها ولا تستسلموا، وأطلقوا عليهم كل ما معكم من رصاص، ولن يكون إلا ما قدر الله وقضى قاطعة عماد: يا حج لكن...صرخ الشيخ: كفى يا عماد كفى، والله لن تخرجوا من هذا البيت ما دمت حياً في لحظة خطر، ثم إننا لم نزل لا نعرف هل جاءوا علينا ويقصدوننا أم أنها دورية روتينية اجلسوا اجلسوا حتى نرى، وخرج من البيت ليتفحص الأمور بنفسه، وبينما يستعد المجاهدون للمواجهة، عاد الحاج قائلاً: لقد انصرفوا هي دورية عادية، ولا علاقة لها بكم، اجلسوا اجلسوا وحدثوني عن عملياتكم، تعال يا عماد إلى جواري هنا.

أخي محمد لاحظ أن طالبه في مادة الكيمياء ينقب في كتبه عن شيء محدد يشغله وتوجه إليه سائلاً عما يبحث، ظهر الارتباك على ذلك الشاب، ورد متعلثماً: لا شيء لا شيء ابتسم محمد وقال: يا رجل لا تقل لا شيء، وقل لا تريد مساعدتي، فإنك تبحث عن شيء يقلقك ويأخذ بالك، ينظر إليه الشاب مرة أخرى، وقال: الحقيقة أنك صادق، وأنني أبحث عن شيء محدد، ولكن لا عليك، فإنني سأتدبر أمري، ابتسم محمد وقال: دعني أثقل عليك، أنت تبحث عن معادلة معينة وهي موجودة في صفحة رقم (١٣١) من الكتاب، بهت الشاب ونظر إليه باستغراب، وهو يقلب صفحات الكتاب: وما أدراك عما أبحث؟ أجاب محمد وهو يبتسم: افتح على الصفحة وانظر هل عرفت عمّ تبحث بحق أم لا؟ قلب الشاب الصفحات، وفتح على الصفحة المذكورة، ونظر فها فازدادت دهشته ولم يتمكن من إخفائها، وتساءل: كيف عرفت بالله عليك؟ أجاب محمد: شاب مثلك يبحث باجتهاد عن مسألة معينة، ويرتبك حين أسأله، ويخفي أنه يبحث عن شيء، لو كنت تبحث عن شيء عادي لأجبت دون ارتباك، ثم إن العيون لا تكذب يا يحيى، العيون لا تكذب عيونك تخبر بما بين ضلوعك، رغم ما يبدو عليك من هدوء وسكون، قد يظن البعض أن القطة تأكل طعامك لشدة هدوئك، ولكن بداخلك غضب عاصف، ابتسم يحيى وهو يغمغم: صدقني أنني لست كما...ضحك محمد وقال: صدقتك صدقتك.